فينومنولوجيا (عزف النقارة) في العتبة الرضوية المقدسة

الدكتورة أعظم محمودي
أستاذة مساعدة، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة فرهنگيان، تهران، إيران
a.mahmoodi@cfu.ac.ir

البحث الأول الفائز بجائزة أنيس النفوس الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام
الدولية للإبداع الفكري

Phenomenology of “playing the Naqqara" in the Holy Shrine of Razavi DR Azam Mahmoodi

Dr. Azam Mahmoudi
Assistant Professor, Department of Arabic Language and Literature, Farhangian University, Tehran, Iran

الملخص:-

العتبة الرضوية في مدينة مشهد المقدسة، بصرف النظر عن المضجع الشريف للإمام الرضا عليه السلام، وهو ملجأ للمضطرّين، له رموز مقدسة أخرى يتم وضعها في الذاكرة الدينية للزوّار المتشرفين وتلعب دوراً مهمًا في تمثيل ثقافتهم الدينية؛ منها ظاهرة ((عزف النقارة)). تحاول الدراسة الحالية دراسة فينومينولوجيا هذا الرمز لاكتشاف المعاني الذهنية للزاوّار الذين لهم التجارب الحية حوله. طريقة البحث هي تحليل مضامين المعلومات والنتائج التي تم جمعها من خلال المقابلة والمشاهدة ومراجعة الوثائق. وتظهر النتائج استناداً إلى معتقدات زوار الحرم الرضوي (منهج Emic) أنّ عزف النقارة يعتبر ((مفعماً بالأمل والبهجة))، ((محوّلا))، ((مهدّئاً و مُسكناً))؛ و إنهم يرون أن صوت النقارة علامة على الإرتباط بين السماء والأرض، وعندما يسمعونه يسحَرون بعظمة الحرم و فخامة صاحبه فيشعرون بأنفسهم في لجوء إمامهم؛ و أنّ إدراك هذه اللحظات، هدية و بشري من جانب الإمام الرضا عليه السلام لقبولهم. واستناداً إلى المنهج الدلالي للباحث (منهج Etic) يشمل معاني ((التقديس)) و ((اكتساب التجربة الدينية والقرب من الله)) و((الإستدعاء والوساطة)) و((عناية خاصة من الله تعالى)).

الكلمات المفتاحية: الفينومنولوجي، العتبة الرضوية المقدسة، عزف النقارة.

Abstract:-

The Razavi shrine in the holy city of Mashhad, apart from the honorable resting place of Imam Rida (as), which is a refuge for the helpless, has other sacred symbols that are placed in the religious memory of pilgrims and play a significant role in representing their religious culture; among them is the symbol of "playing the Naqqara". The present study tries to study the phenomenology of this symbol in order to discover the mental meanings of the pilgrims around whom they have lived the experience. The research method is content analysis of information and findings collected through interviews, observation, and review of documents. The results show, based on the beliefs of the pilgrims of the Razavi shrine (Emic method), that playing the Naqqara is “full of hope and joy”, “transforming”, “calming and sedative”. The pilgrims believe that the sound of the Naqqara is a sign of the connection between heaven and earth, and when they hear it, they are enchanted by the grandeur of the sanctuary; and they feel themselves in the refuge of their imam, and believe that the perception of those moments as a gift and a promise from Imam Rida (as) to accept them. But playing the Naqqara based on the researcher's semantic (Etic approach), it includes the meanings of “sanctification”, “acquisition of religious experience and closeness to God”, “supplication and mediation” and “special care from God Almighty .”

Key words: Phenomenology, Razavi shrine, playing Naqqarah.

١. المقدمة:ـ

في كل عام، يدخل الجمّ الغفير من أفراد يعادل ما يقرب من ثلث إجمالي سكان البلاد، مدينة مشهد المقدسة، العاصمة الدينية لإيران وقلبها النابض، للزيارة. (رئيسي،١٣٩٧ش: ١) ومن المؤكد أن هذه الزيارة تكون بقصد تمتع الزوار بالقداسة السامية لهذا المكان المقدس والحصول علي لطف صاحبه ورعايته، أي الوجود المبارك للإمام الرضا عليه السلام.

كل مكان مقدس أصبح مقدّساً بسبب مناسبة خاصة. فعلى سبيل المثال، تمّ تكريم ((الوادي المقدس)) بسبب حادثة تكلم الله مع موسى عليه السلام. وخطاب الله تعالى له في القرآن الكريم تدل على هذه المسألة: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ (طه/١٢)؛ كما أن أرض مكة، التي تعتبر أقدس مكان عند المسلمين، نالت شرفها من حلول رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الأرض، ولذلك أقسم الله بها: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ (بلد/٢-١)؛ كذلك أن نزول الإمام الرضا عليه السلام إلى مشهد أعطي لهذه المدينة القداسة والشرافة. وبسبب عناية الله الخاصة بالروضة الرضوية المقدسة؛ واختلاف الملائكة إليها؛ ووجود الأرواح الزاكية فيها، يتولد باستمرار شعور بالسكينة والطهارة في نفوس زوار سماحته؛ وتنشأ علاقة روحية بينهم وبين عالم الملكوت بحيث هذا الشعور يبقي لهم زمناً طويلا وينشرونه في جميع أنحاء البلاد وحتى في العالم.

قال الإمام الرضا عليه السلام: ((إنّ بخراسان لبُقعة يأتي عليها زمانٌ تصيرُ مُختلَف الملائكة فقال لايزالُ فوجٌ ينزلُ من السماء و فوجٌ يصعد إلى أن ينفخ في الصّور فقيل له يا ابن رسول الله وأية بقعة هذه؟ قال هي بأرض طوس فهي والله روضةٌ من رياض الجنّة من زارني في تلك البقعة كان كمَن زارَ رسول الله صلى الله عليه وآله)). (ابن بابويه،١٤١٣ق،ج٢: ٥٧٧)

فإن للحرم الرضويّ دور خاص في الهوية الدينية والثقافية للزوار المتشرفين؛ وايجاد المفاهيم والرموز و والترحيب الواسع للناس للسفر إلى مدينة مشهد المقدسة والحضور إلى هذا المكان، يشير إلى هذه القضية. فعلى هذا دراسة جميع العناصر والمكوّنات والرموز الرضويّة من مختلف الأبعاد والزوايا أمر ضروري؛ وقد أدّت هذه الدراسات إلى تعزيز الثقافة الرضوية في جميع أنحاء العالم. ومع ذلك، على الرغم من الأهميّة الكبيرة لهذه

القضية، والبحث المكثّف الذي تم إجراؤه في مجال الفنومنولوجيا، فإن الدراسة الظاهرية للرموز الرضوية تفتقر إلى خلفية مقبولة. فيمكن أن نشير إلى دراسات قليلة منها مقال لخان محمدي (١٤٠٠ش) بعنوان ((دراسة فينومنولوجية للنافذة الفولاذية في مشهد الرضا عليه السلام)). وكذلك مقال لمصطفى محمودي (١٤٠٠ش) بعنوان ((دراسة سرد السائحين لتجربة زيارة الأماكن المقدسة بالمنهج الفينومنولوجي (دراسة حالة: الضريح الرضوي))).

تحاول هذه المقالة بالنهج الفينومنولوجي واستخدام تقنيات المقابلة والمشاهدة ودراسة الوثائق، أن تدرس ظاهرة ((عزف النقارة)) في العتبة الرضوية دراسة أنثروبولوجية وتجيب عن هذا السؤال: أن ((عزف النقارة)) كيف ينعكس في تجربة الزوّار الحية وكيف يتجلى لهم؟

٢. الإطار المفهومي

يحتوي هذا البحث على مفهومين أساسيين:

٢-١. الزيارة:

الزيارة من ((زور)) يدل علي الميل و العدول. (ابن فارس،١٤٠٤ق، ج٣: ٣٦) و في المصطلح، يعني القصد والرغبة في الذهاب إلى أحد مظاهر قدسية، و بالمعنى العام يعني التشرف إلى شخص أو مكان مقدس مع أداء مناسك خاصة وقصد المزور إكراما و تعظيما له و استيناساً به. (الطريحي،١٣٦٢ش،ج٢: ٧٩٢)

من أهم القضايا المشتركة بين جميع الأديان، ظاهرة ((الزيارة)) و يعتبر في الاسلام عملاً مؤيداً و مؤكداً؛ و لها مكانة خاصة. في غضون ذلك، أنّ ((زيارة الإمام عليه السلام)) كإنسان كامل ومظهر للمقدّسات؛ قد امتزج في العقلية الإسلامية والفكرة الشيعية بالفنّ والأدب؛ وأصبح جزءًا من الثقافة العامة. يَعتبر الشيعة الزيارة حضورًا روحيًا ويعتقد أنّ قداسة المَزور المتميزة وصفاته المقدسة تُنقل إلى نفس الزائر من خلال الزيارة وأنه من الممكن له الحصول علي الفلاح و التقرب من الله.

يظهر الياده[1] أن الأمر المقدس يمكن أن يتجلى في الأشياء والبشر والكائنات الأخرى، مما يتسبب ساحةً، مكانا و زمانا متباينة. (الياده،١٣٨٨ش: ١٦) فهو يري أنّ مع ظهور الأمر المقدس، يصبح كل شيء شيئًا آخر، ومع ذلك فإنه يظلّ كما هو لأنه يستمر في المشاركة في

بيئته. (نفسه: ٤) لذلك فإن البشر والأماكن وكل ما يتعلق بالإمام عليه السلام ووليّ الله يتسرب إليهم القداسة و الحرمة أيضاً و يتمتعون بخصائص؛ منها: (خان محمدي،١٤٠٠ش: ١٣٣-١٢٩)

أ- الحرمة والاحترام: الاحترام لغةً له معنيان متناقضان. المكان المقدس مع كونه مقدسًا ومباركًا، فهو أيضًا مَهيب وخطير. فمن جهة جليل وعظيم، ومن جهة أخرى يحرم عدم أداء حقه. وكلما كان المكان أكثر قداسة كلما زادت حرمة.

ب- المركزية: قد تَركّز المكان المقدس في أذهان المؤمنين، فينتظم حوله عالم الخلق ويتمتع به وعندما يجتمع المؤمنون حول هذا المركز، فإنهم متصلون مثل الحلقة. كما يعتقد المسلمون، فإن الكعبة هي مركز الكون وهي أول نقطة على الأرض برزت من الماء، وبسبب هذه المركزية تُعتبر القبلة ويصلّي عليها جميع المسلمين.

ج- حلقة الاتصال: المكان المقدس هو حلقة الاتصال للأرض والسماء، وله إمكانية الترابط بالعالم الأعلى بسهولة. فلذلك يشعر الناس بأنهم يقتربون من الله في المكان المقدس و تُستجاب أدعيتهم.

د- التنشيط و التقوية: المكان المقدس مفرّح ومقوّ. فيشعر الذين يحضرون الأماكن المقدسة بمزيد من القوة بسبب ارتباطهم بالعالم الأعلى. فكأن القداسة تنتقل إلى الحاضرين أيضًا. (Eliade,1959: 24)

٢-٢. عزف النقارة

عزف النقارة من التقاليد والمراسيم التي المألوفة في العتبة الرضوية المقدسة منذ زمن بعيد، وهو رمز محترم مع العديد من المحبين و المعجبين. فالرّمز بشكل عام هو أمر عيني إلى حدّ ما يدلّ على معنى أو معان وتنشأ الرمزية من ارتباط المعاني واستمرارية الصّور الذهنية والعواطف. (لافورگ، ١٣٧٤ش: ١٤) غير أن جذور عزف النقارة وتاريخ ظهوره باعتباره سنة دينية لم تتضح بعد، إلا أن ما ورد في أعمال وكتب المؤرخين والباحثين يشير الى أنه كان أمراً مألوفاً خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين. واستمر هذا التقليد منذ ذلك الحين إلى يومنا هذا. إلا أنه أمر ((رضا خان بهلوي)) بعدم ضرب النقارة من سنة ١٩٣٣م حتى سنة ١٩٤١م، ثم يعاد ضربه من ذلك الوقت. وتعزف النقارة في جميع أيام السنة، وقت طلوع الشمس وغروبها كما في الأعياد الدينية وولادة الائمة المعصومين عليهم السلام اضافة إلى

زمان ظهور الكرامات الرضوية وعيد النّيروز؛ ماعدا شهري محرم وصفر وأيام العزاء الأخرى.(globe.razavi.ir)

تقع ((النقاره خانه)) فوق الرواق الشرقي للحرم في ساحة الثورة الإسلامية (القديمة) ويمكن رؤيته من زوايا مختلفة من الساحة. فيعتبر هذا الفناء من أشهر الساحات وأكثرها قدسية، وذلك لقديمه وإدراج رموز ((النافذة الفولاذية)) و((السقاخانة)) و((النقارة خانه)) (مولوي والآخرون،١٣٨٨ش: ٣٧)؛ والنقارة تعني عزف معزوفة خاصة باستخدام الطبول والأبواق. ففي القرون الماضية، كان الضرب على الطبول والعزف على الأبواق يعتبر من علامات عظمة البلاط وقدرة الحكام والولاة والأمراء ولعل هذا الأمر شاع في العتبة الرضوية المقدسة، لأن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام كان يتمتع بجلال وعظمة ومكانة تفوق الملوك والأمراء والحكام قاطبة، فليس هذا الأمر إلا شاهداً على أبهة حرمه ومرقده المقدس. (porseman.com)

والأمر المثير للاهتمام هو أن الطبول ليس لها ذِكرٌ ويتم تشغيلها فقط كصوت مع الأبواق. ولكن الأبواق لها ذكر حوفظ عليه من الماضي إلى الحاضر وفي هذا الذكر، يخاطب العزّاف الإمام الرضا عليه السلام ويتحدثون إليه بلطف شديد ودون أيّ صعوبة.

مراسم عزف النقارة

٣. طريقة البحث

أجريت الدراسة الحالية باستخدام المنهج الفينومنولوجي (Phenomenology). يتكون هذا المصطلح من مقطعين phenomena)) وتعني الظاهرة؛ و(logy) و تعني الدراسة العلمية لمجال ما. فإن مسقط رأس علم الظواهر أو الفينومنولوجيا هو ألمانية وقد صاغ إدموند هوسرل[٢] (١٨٥٩-١٩٣٨م) أسسها وإطارها.

يعتقد هوسرل أنه يمكن بلوغ مصدر المعرفة الإنسانية بتحديد كيفية ظهور العالم في ذهنه. فهو يرى أن هدف الفنومنولوجيا في الواقع ليس سوى إثبات أن العالم هو التجربة التي تخوضها.

يركّز هذا النهج على التجارب المباشرة، قدر الإمكان؛ وهو عبارة عن وصف وفيّ لما يظهر لا أكثر ولا أقل. (زهاوي،٢٠١٣م: ٥٩) وفي هذه المدرسة، تُدرَس الأشياء ليس ((كما هي)) ولكن ((كما تبدو لنا)). (دانايي فرد وكاظمي،١٣٨٩ش: ١٠٦) بمعنى أنه يتم وصف الظواهر من حيث كيفية ظهورها وتجلّيها قبل أيّ تقييم أو تفسير أو حكم قيمي. فلذلك، النقطة الأكثر مركزية في الفينومينولوجيا هي أنه عند التعرف على طبيعة الظواهر، فإن النقاش حول روح الظاهرة يتم استبعاده ووضعه بين قوسين وبدلاً من ذلك، تصبح مظاهر العالم والظواهر على الإنسان موضوع الإدراك؛ وبعبارة أخرى، تجد ظواهر العالم طبيعتها مرتبطة بالإنسان والوعي. (سام خانياني،١٣٩٢ش: ١٧٧)

وما هو مهم بالنسبة لنا هو ذلك في العصر المعاصر بهذه الطريقة يعبرون عن التعاليم الشيعية ويصفونها ويدرسون وظائف وتأثيرات التعاليم ضمن العقيدة والنظام الفكري الشيعي. كانت هذه هي طريقة أناس مثل هنري كاربون وآن ماري شيميل. (ساك لوفسكي،١٣٨٤ش: ١٦٣)

و أخيراً في هذه الطريقة، من أجل دراسة ((التجربة الحية)) لظاهرة ما، يجب على الباحث استخدام تقنيات المقابلة، و الملاحظة، وعلم الأنساب ودراسة الوثائق و المستندات لاكتشاف المعتقدات و تصورات المجرّبين. (مستوي الوصف أو منهج إميك[٣])؛ وبعد ذلك، حسب مقدرته العلمية، من خلال تحليل السلوكيات والأفعال من السطح إلى العمق؛ يكشف و يسجل الحركات والمعاني غير المرئية (مستوى التحليل أو منهج إتيك[٤]).

(كتاك،١٣٨٦ش: ٦٨٦؛ و اسميت و رايلي،١٣٩٤ش: ١٧٦)

فعلى هذا لأن نفهم كيف تنعكس ظاهرة عزف النقارة في أذهان الأشخاص ذوي التجربة؛ وما هي طبيعة هذه الظاهرة، استخدمنا الأساليب والطرق التالية:

أ. جمع المعلومات

١. المشاهدة: بالحضور في العتبة الرضوية المقدسة عدة مرات وأثناء عزف النقارة قمنا بمعاينة الظاهرة تماماً ودراسة العناصر والمكونات المرتبطة بها من زوايا مختلفة.

٢. المقابلة: لاكتشاف المعانى المنعكسة في التجربة الحية لعزف النقارة عند الزوار، تمّ بـ (٣٠) مقابلة شبه منظمة بأسئلة مفتوحة؛ في المكان نفسه وفي أماكن أخرى. كانت المقابلة هي الطريقة الرئيسية لجمع المعلومات لهذه الدراسة. لأنّ أفضل طريقة للدخول في عالم التجربة الإنسانية هي من خلال المقابلات. (Van Manen,2006: 194)

إنّ معيار اختيار الأشخاص للمقابلة هو تجربة الظاهرة؛ فإن الغالبية العظمى من الزوار لديهم هذه التجربة. وتم اختيار هؤلاء الأشخاص عن قصد من مختلف الأعمار؛ ومن الرجال والنساء؛ وتم تقسيمهم إلى مجموعتين من حيث مستوى الوعي: النخبة والعادية. ثم قابلنا مع بعضهم أثناء حضورهم العتبة المقدسة حين استماع لصوت النقارة، وقابلنا مع آخرين في أماكن أخرى، ودعوناهم مع إرائة صورة ((النقاره خانه)) أو استخدام كلمته أن يعبّروا عن مشاعرهم وإدراكاتهم و تجربتهم الحية حول هذه الظاهرة؛ ثم بموافقتهم تم تسجيل المقابلات وتنزيلها.

الجدول١ـ الوصف الإحصائي

الميزات	الحالة	الرقم
الجنس	الرجل	١٢
	المرأة	١٨
العمر	دون ٢٥ سنة	٢٠
	فوق ٢٥ سنة	١٠
المستوي الدراسي	دون دبلوم	٣
	دبلوم حتى بكالوريوس	٢٠
	أعلي من بكالوريوس	٧

٣. دراسة الوثائق والمستندات التاريخية: من أجل التعرف على تاريخ الظاهرة ودراسة الأبعاد المختلفة للموضوع بالتفصيل، قمنا بدراسة الكتب والمقالات والمواقع، وبأخذ المعلومات من متولّي الحرم و خدمه؛ وحاولنا بجمع المعلومات الشفوية.

ب. تحليل المعلومات

في هذه المرحلة، قمنا بتحليل النتائج والاستنتاجات باستخدام طريقة ((تحليل المحتوى)). فيتم تنفيذ طريقة تحليل المحتوى من خلال العملية التالية:

مطالعة النص؛ الإدراك الصحيح للمعلومات التي تبدو غير ذات صلة؛ تحليل المعلومات النوعية؛ وتحويل المعلومات إلى مضامين؛ وإنشاء ترتيب منطقي. (Boyatzis,1998:4) لذلك، أولاً، قرئت المعلومات التي تم الحصول عليها من المقابلات والمشاهدات والوثائق ذات الصلة بشكل متكرر، واستخرجت العبارات الملائمة للغرض المركزي للبحث، أي المضامين التي تحتوي على المعاني العقلية للزوّار. بعد ذلك، لسهولة النقل والترميز الأول، تم التأكيد على الجمل والعبارات التي تحتوي على مفاهيم تتعلق بعزف النقارة وتعتبر مضامين أساسية. ثمّ في مرحلة الترميز الثانوية، تم وضع الجمل التي تحتوي على موضوعات مشتركة في الفئات الرئيسية وتسميتها.

٤. نتائج البحث

١-٤. تفسير المعاني من منظور المجيبين (منهج إميك)

في هذا النهج، استُخرجت معتقدات المجيبين والمعانى التي كانوا على دراية بها؛ ثمّ من خلال ترميزها تمت صياغة ٦ التعبيرات ذات المعنى والموضحة بالجدول رقم ٢:

الجدول ٢. المفاهيم الأساسية المستخرجة من التجارب الحية التي رواها الزوار

أفضلية	المفاهيم الأساسية
١	التنشيط والتسكين
٢	التحول النفساني
٣	ترابط السماء والأرض
٤	الافتتان بفخامة الحرم و صاحبه
٥	الشعور بالحماية و الرعاية
٦	طلب الحاجة والوساطة

١-١-٤. التنشيط والتسكين

يعتقد الشيعة أن المعنوية المتميزة للمزور وصفاته المقدسة تُنقل إلى روح الزائر من خلال الزيارة وإن الحضور في المكان المقدس يسبب تأثرهم بمعنوية صاحب المكان و يوجب البهجة والهدوء لديهم. فمن المواضيع التي اعترف بها جميع الزوار كتجربة مهمة وشاركوها في شعورها أن صوت النقارة الذي وصل إلى آذانهم، كان مبهجاً ومفرّحاً. فيمكن أن نشير إلى تأثير هذه الظاهرة على نفوس الزوّار؛ وراحة بالهم وتنشيطهم. ويبدو أن جميعهم قد وطأوا هذا المكان و يستمعون لهذا الصوت بقصد التخلص من هموم الحياة.

تقول طالبة: ((في هذه اللحظات، أغمض عينيّ، فصوت النقارة اللطيف يملأ وجودي كله بالهدوء والطمأنينة...)).

و طالبة أخرى: ((شعرت بشعور غريب عندما تردد صدى هذا الصوت. فجأة بدأ قلبي ينبض وفي نفس الوقت شعرت بهدوء غريب...)).

تقول امرأة من ألمانيا: ((لا يوجد مكان آخر في العالم مثل هذا. إنه مليء بالحب والطاقة...؛ في كل مرة أسمع هذا الصوت، أبدأ حياة جديدة مليئة بالأمل)).

ويظهر شيخ كبير من عراق: ((بعد عزف النقارة؛ و بعد لحظة من الصمت اللطيف، أشعر بالخفّة وانعدام الوزن من هموم الدهر)).

وتصف سيدة: ((نصل إلى ساحة ((انقلاب)) ونجلس في زاوية. بعد لحظات يرفع صوت جميل يسكت الجميع لدقائق؛ و يحوّل الإزدحام و الإضطراب كلّه إلى صمت لطيف)).

وينشد شاعر: ((يعزفون النقاره و عولج مرضٌ/ في زحام العبرات استشفي مريض.....)). (لطفي،١٣٩٧ش:١)

وسيدة من خراسان: ((رغم أنني لست متدينة، آنذاك يشعر الإنسان بشعور روحي غريب. للحظة واحدة وكأنني في مكان غريب وأشعر بالهدوء والسكينة)).

وتقول أخرى: ((صوت النقاره، حتى لو سمعت من بعيد، بصرف النظر عن التواجد في الحرم؛ تنقل إحساساً نقيًا في القلب والعقل، و يكون الشعور بالبهجة هو أكثر واقعية

بالنسبة لك)).

٢-١-٤. التحول النفساني

مفهوم آخر تم استخراجه كتجربة حية لمعظم الزوار من التواجد والحضور في الحرم عند عزف النقارة، هو تأثير هذه الظاهرة على روحهم ومشاعرهم وكأن ثورة تتشكل بداخلهم. فهذا الجو المختلف في هذا المكان المقدس ينقل لهم القداسة ويميزهم عن العاديين، ولفترة طويلة سيرافقهم هذا التحول والتميز. بطريقة تجعل الآخرين يتوسلون لهم للدعاء ويشعرون أنفسهم أيضًا بالقوة. (خان محمدي،١٤٠٠ش: ١٣١)

تقول أستاذة: ((أشعر بأنني جزء من هذا الهيكل والمجموعة. أختفي كذرّة في شعاعه المضيء، وأذوب مثل قطرة في ذلك الكون النابض)).

يقول رجلٌ: ((يجلب صوت النقارة مفارقة في الهدوء والإثارة في قلب الزائر و يجذب القداسة والطهارة إلى كيانه)).

و تقول طالبة: ((أغمض عينيّ، أشعر بخفة الوزن وانعدام الوزن كأنني لست على الأرض. هي هذه اللحظات أحبّ عالم الوجود كلّه وكأنّي علي حاجة بالطيران مع الملائكة...)).

وأخرى: ((كان لدي تجربة غريبة عندما تردد صدى هذا الصوت. فجأة بدأ قلبي ينبض. هناك انسجام ووحدة بين مجموع العتبة المقدسة كلها؛ وإحساس بالتواضع العام أمام الإمام الرؤوف...)).

وهكذا تعرب عن شعورها سيدة عراقية: ((أظنّ لقد دخلت عوالم المشاعر الجميلة... هذا الصوت اللطيف لن يتكرر أبدًا و لن يصبح مملًا بالنسبة لي... أشعر بأنني أصبحت جزءاً من هذه القداسة التي انتشرت في هذا المكان المقدس)).

٣-١-٤. ترابط السماء والأرض

يعتقد معظم الزوّار أن لحظة عزف النقارة هي لحظة تلاقي الأرض والسماء، وأنه من الأسهل التواصل مع الملكوت. وعندما يسمعون صوت النقارة، يتم إجراء هذا الاتصال بالتأكيد، وبهذا السبب يمكنهم الترابط مع الله تعالى بشكل أفضل.

تقول فتاة: ((كان يعزفون النقارة.... عند طلوع الشمس أشعر بأن تنحدر البركات من السماء)).

وتقول أستاذة: ((عندما أسمع صوت النقارة يبدو أنّ خيطًا يربطني بالسماء. أنقلع من الأرض وأشعر بأنني أقرب إلى الله)).

يقول أحد من خادمي الحرم: ((أنا متأكد من أن جزءًا من الجنة قد هبط في هذا المكان وأن صوت النقارة هو صوت الملائكة ينادون الإمام الرضا مع عبادة معبودهم)).

وتعبر عن شعورها فتاة عاطفية: ((في لحظة سماع صوت النقارة الجميل، تصعدني يد لطيفة عن الأرض وترفعني على أجنحة الملائكة إلى أماكن لم تطأها قدمي من قبل. أصل إلى الذروة، أشعر بأنني قريب، كأنني أصبحت في جوار الله تعالى)).

٤-١-٤. الافتتان بفخامة الحرم و صاحبه

الشيء الآخر الذي شعر به العديد من ذوي التجربة بكل كيانهم؛ وأشاروا إليه أنه في لحظات سماع صوت النقارة، تجلبهم قوة دون وعي نحو فخامة صاحب الحرم وعظمته ويفتنون به.

تقول أمّ: ((سماع صوت النقارة له شغف يؤدي تأثيره حتى لو كان من بعيد. يجذب الشخص إلى حريم الحبيب و يحيي ذاكرته في كيانه. و يتم عرض جلال صاحب الحرم و يطير بطائر القلب إلى حيه ليغرق في عظمته)).

و تصف طالبة هذه اللحظات: ((لا تستطيع قدمي أن تتحرك وتتجه نحوه، ويبدو أن رؤية فخامة سماحته وعظمته وكرامته قد خَتمت على فمي)).

وتنشد شاعرة: ((رغم من أنني بعيدة عن ضريح وبلاطك وساحة جمهوريتك/ إنما يجلب الأبواق و الطبول، القلب تجاه حيك)). (آريايي،١٤٠٠ش: ١)

وشاعر آخر: ((يعزفون النقارة، يفتح باب الحرم/ أي أنه يبدأ زمان الحبّ/ يعزفون النقارة، و قلبي كحمامة تطير حول قبّتك/ يعزفون النقارة ويصل قلبي إلى الذروة/ يبدو أنّه الحبّ يعزف في قلبي...)). (أبو طالبي نجاد،١٤٠٠ش: ١)

٥-١-٤. الشعور بالحماية و الرعاية

من المفاهيم التي ذكرها كثير من المجيبين في التعبير عن شعورهم للحضور في مراسم عزف النقارة، أنهم يرون أنفسهم في ملجأ إمامهم في تلك اللحظات. يبدو أنه بسبب التوفيقات المحقّقة، حصلوا على رعاية و حماية خاصة من الإمام الرضا عليه السلام ولم يعودوا خائفين من مواجهة الحياة الصعبة لأنهم على يقين من وجود شخص لن يتركهم وحيداً في أزمات الحياة.

يقول فتي: ((في تلك اللحظة، أحسّ أنني وحدي والإمام عليه السلام. ويجعلني فخوراً هذا الشعور بأنني قد كنت بين أحضان شخص مثاليّ، في غاية الكمال و الرأفة....)).

و يقول أحد من المجاورين: ((لدي الشعور بالحب للإمام الثامن عليه السلام.... و الشعور بالشغف والعظمة في ملجأ يدي الإمام الرؤوف...)).

و رجلٌ آخر: ((أعتقد أن سماع هذا الصوت هو علامة على اهتمام الإمام الخاص بزواره، وهو في الواقع توفيقٌ ناله البعض، وقد أولى الإمام رعاية خاصة للأشخاص الحاضرين هناك)).

٦-١-٤. طلب الحاجة والوساطة

لحظات سماع صوت النقارة هي لحظات تذكّر معظم المجربين بالدعاء والإستغاثة، لكنها ليست للحاجات الشخصية والدنيوية فحسب. بل أكثرهم يريدون أن يدركوا نفس الحضور ويطلبوا الإمام عليه السلام نفسه وإذا أرادوا حاجة ما، فهي للجميع، ويدعون من أجل جميع مواطنيهم، ورفاقهم المؤمنين، وربما جميع شعوب العالم.

يقول فتي: ((يصبح كياني كله حاجة وأنا أتوسل إلى عينيه اللطيفتين؛ لكنني أتمنى له فقط)).

وتقول فتاة: ((... مثل الطفل الذي فتح فمه للكلام، أقول بصوت هادئ ومرتجف: أتمنى للجميع الصحة والعافية ونهاية سعيدة)).

وطالبة: ((كأن أحداً يضيء مصباح قلبي.. أسأله أن يجعل قلب الأرض وأبنائها بخير...)).

٢-٤. تفسير المعاني من منظور الباحث (منهج إتيك):

يجب في هذا القسم، دراسة الطبقات المخفية والعقلية لذوي التجربة وتفسير الزوايا التي لا يقدرون أن يبينوها على الرغم من معرفتهم بها ضمناً لاوعياً. فعلى الباحث أن يكتشفها ويشكلها نفسه؛ وهي مجموعة من الخصائص التي تم الحصول عليها من خلال المقابلات المتعمقة والمشاركة الوجدانية مع المجيبين. فالمفاهيم التي توصل إليها الباحث مبينة في الجدول رقم ٣:

الجدول٣ـ المفاهيم الأساسية التي استخرجت من منظور الباحث

الأفضلية	المفاهيم الأساسية
١	التقديس
٢	اكتساب التجربة الدينية والتقرب من الله
٣	العناية الخاصة من الله

١-٢-٤. التقديس

تشير الأفعال اللفظية وغير اللفظية لمن تمت مقابلتهم، مثل تعابير الوجه والدموع والتأثر، إلى أن صوت النقارة أكثر من مجرد صوت عادي بالنسبة لهم وهذه الظاهرة في الواقع جزء من هيكل أكبر قد وجدَت معنىً فيه، فإنها كعنصر مع عناصر أخرى مثل: ((القبّة الذهبية))؛ ((الضريح))؛ ((سقاخانة)) و((النافذة الفولاذية)) و غيرها، تشكل نظاماً منهجياً لهذا المكان المقدس، وتُعتبر جزءاً من هذه المجموعة التي تنتمي إلى الإمام الرضا عليه السلام، فكل الأحكام المتعلقة بالحرمة والقداسة يجري عليها. فلذلك لا يوجد زائرٌ له نظرة غير قدسية إلى عزف النقارة.

٢-٢-٤. اكتساب التجربة الدينية والتقرب من الله

من منظور علم الاجتماع، الزيارة هي عمل يركّز على القيمة أي الحصول علي الفلاح والقرب من الله. (بهروان،١٣٨٠ش: ٨٧)

وفي المدرسة الشيعية، من طرق التقرب من الله وترقية الروح وعلوّها إلى مستوى أعلى هو زيارة المشاهد المشرفة وقبور أولياء الدين. فيَعتبر جميع الزوار الحضور في هذا الفضاء الروحي كعلامة على التقرب من الله. ولذلك، فهم يبحثون عن نوع من التجربة الدينية والروحية؛ ويتوقعون الوصول إليها. و هذا الأمر يؤدي في النهاية إلى حالة من الديناميكية

الروحية توفر العبادة الصادقة لهم.

٣-٢-٤. العناية الخاصة من الله تعالى

من وجهة نظر المؤمنين والموحدين لن يحصل العبد علي خير إلا إذا رزقه الله تعالى وهو جلّ جلاله يعطيه لمن يشاء. كما يشير إليه القرآن الكريم في قصة حضرة مريم: ﴿قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (آل عمران/٣٧) فإن معظم الزوار قائلون بأن إدراك هذه اللحظات يكون مرتبطًا برعاية الله الخاصة بهم واهتمامه بهم، ولو كان ذلك في فترة زمنية قصيرة؛ و يرون أن هذه الحادثة لا علاقة لها بإرادتهم، ولولا عناية الله تعالى لما كانوا حاضرين في هذا المكان.

٥. النتائج

وتظهر الدراسة الفينومنولوجية لعزف النقارة في الحرم الرضوي المقدس أن هذه الظاهرة من معتقدات الزوّار و وجدت هذه الظاهرة مكانة ((رمزية)) بينهم وتتضمن معاني متعددة. وكأنّها تعتبر من علامات عظمة الإمام رضا عليه السلام كما كان من علامات عظمة الملوك و الحكام من قبل؛ لأن الإمام عليه السلام له عظمة و مكانة تفوق كل الملوك والحكام.

فيوضح تفسير المعاني في التجارب الحيّة لزوارّ الحرم؛ أن هذه الظاهرة لها وظائف علنية وسرية بالنسبة لهم. منها: أنّ سماع صوت النقارة مبهج ومهدّئ؛ ويخلص ذوي التجربة من أحزان الحياة وآلامها، حتى لدقائق قليلة. إنّهم من خلال الحضور في حفل عزف النقارة، يشعرون بأنهم تحت حماية إمامهم الرؤوف ويعتقدون أن السماء والأرض في هذه اللحظات أقرب إلى بعضهما البعض؛ وأصبح الترابط مع عالم الملكوت ممكنًا بالنسبة لهم. إنهم مفتونون بهذا الفخامة والعظمة لدرجة أنهم ينسون أنفسهم وآمالهم ويفكرون في الإمام عليه السلام ونعمته وكرامته فحسب؛ وإذا تمّنوا يتمنون أن يكون جميع أبناء البشر بخير.

وتشكل النقارة خانه مع العناصر الأخرى المنتمية بالحرم الرضوي نظام هذا المكان المقدس، ويتابع جميعها قواعد واحدة في مجال الحرمة والقداسة لأنها منسوبة إلى الإمام الرضا عليه السلام. فلذلك، بالنسبة لمن يجربه، فإن صوت النقارة له قدسية خاصة، والزوار يعتبرون سماعه توفيقاً خاصًا وعناية من الله تعالى أعطي بهم؛ وبهذا الطريق يكتسبون تجربة دينية ملموسة ويشعرون معها بأنهم تقربوا إلى الله تعالى.

هوامش البحث

(1) Eliade
(2) Edmund Husserl
(3) Emic Approach
(4) Etic Approach.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتديء به القرآن الكريم.

أولاً – الكتب المطبوعة:

- ابن بابويه، محمد بن علي(١٤١٣ق). من لا يحضره الفقيه. مصحّح: علي اكبر غفاري، چاپ دوم. قم: دفتر انتشارات اسلامي.
- ابن فارس، ابوالحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي(١٤٠٤ق). معجم مقاييس اللغة، محقق: عبدالسلام محمد هارون، قم: مكتب الإعلام الإسلامي.
- اسميت، فليپ و الگزاندر رايلي(١٣٩٤ش). نظريه فرهنگي، ترجمه محسن ثلاثي، تهران: نشر علمي.
- الياده، ميرجا(١٣٨٨ش). مقدس و نامقدس، ماهيت دين، ترجمه بهزاد سالكي، تهران: شركت انتشارات علمي و فرهنكي.
- بهروان، حسين(١٣٨٠ش). ((جامعه‌شناسي زيارت با تأكيد بر نيازهاي زائران در حرم حضرت رضاعليه‌السلام))، مجله مشكوة، شماره ٧٢و ٧٣، صص ١٠٢- ٨٧.
- خان محمدي، كريم(١٤٠٠ش). ((بررسي پديدار شناختي پنجره فولاد مشهد الرضاعليه‌السلام))، فصلنامه علمي فرهنك رضوي، ٩ (٣)، صص ١٥٢- ١٢٣.
- دانايي فرد، حسن و سيدحسين كاظمي(١٣٨٩ش). پژوهش‌هاي تفسيري در سازمان، استراتژي-هاي پديدارشناسي و پديدارانگاري، تهران: دانشگاه امام صادقعليه‌السلام.
- زهاوي، دان(٢٠١٣م). پديدارشناسي هوسرل، ترجمه مهدي صاحبكار و ايمان وافقي، لامك: كارگاه انتشارات روزبهان.

- ساك لوفسكي، رابرت(١٣٨٤ش). درآمدي بر پديدارشناسي، ترجمه محمدرضا قرباني، تهران: گام نو.

- سام‌خانياني، علي‌اكبر(١٣٩٢ش). ((مؤلفه‌هاي پديدارشناسي هوسرلي در شناخت‌شناسي مثنوي معنوي))، دوفصلنامه علمي- پژوهشي ادبيات عرفاني دانشگاه الزهراء، سال ٥، شماره٩، صص: ٢٠٣- ١٧٣.

- الطريحي، فخرالدين بن محمد(١٣٦٢ش). مجمع البحرين، تحقيق أحمد الحسيني، تهران: نشر مرتضوي.

- كتاك، فيليب كنراد(١٣٨٦ش). انسان شناسي (كشف تفاوت‌هاي انساني)، ترجمه محسن ثلاثي، تهران: نشر علمي.

- لافورگ، رنه و رنه آلوندي(١٣٧٤ش). نمادپردازي، اسطوره و رمز (مجموعه مقالات)، ترجمه جلال ستاري، تهران: سروش.

- مولوي، عبدالحميد؛ مصطفوي، محمدتقي و شكورزاده، ابراهيم(١٣٨٨ش).((سير تحول معماري و توسعه آستان قدس)) (مقاله دايرة المعارف ايرانيكا)، ترجمه رجبعلي يحيايي، فصلنامه وقف ميراث جاودان، سال هفتم، شماره ٦٥، صص ٤٩- ٣٢.

- Boyatzis, R. E. (1998). Transforming qualitative information: thematic analysis and code development, sage.

- Eliade, Mircea, (1959). The sacred and the profane: the nature of religion translated from the French by Willard R. Trask, A Harvest book and world, New York.

- Van. Manen, M. (2006). Researching Lived Experience, Human Science for an Action Sensitive Pedagogy. Ontario, Canada: The University of Western Ontario.

ثانياً - المواقع الإنترنتية:

- آريايي، مهديس(١٤٠٠ش). سايت شعر نو، تاريخ بازديد سايت ١٤٠٠/١٢/٢٠.

https://shereno.com/38379/33672/264927.html

- ابوطالبي نجاد، سيدعلمدار(١٤٠٠ش). سايت شعرنو، تاريخ بازديد ١٤٠٠/١٢/٢٠.

https://shereno.com/53498/48065/434914.html

- پرسمان دانشجويي(١٤٠٠ش)، تاريخ بازديد سايت ١٤٠٠/١٢/٩.

www.porseman.com/article/25899

- رئيسي، سيد ابراهيم(١٣٩٧ش). خبرگذاري صدا و سيما، تاريخ درج خبر ١٣٩٧/٥/٢.
www.iribnews.ir/2184896

- لطفي، حسن(١٣٩٧ش). سايت حديث اشك، تاريخ درج مطلب ١٣٩٧/٤/٣٠.
https://hadithashk.com/صحن- رضا/

- موقع العتبة الرضوية المقدسة(١٤٠٠ش). زمان درج الموضوع ١٤٠٠/١٢/١٩.
www.globe.razavi.ir/ar//94737/مراسم النقاره